+

البابا شنوده الثالث
"٣"

سلسلة نبذات

الآباء السوّاح

Anachorites (Hermits)

القاهرة
أبريل ٢٠٠٣

Cairo
April 2003

مِن عظمَة السُوّاح

لما عاد القديس مقاريوس الكبير إلى ديره ، بعد رؤيته إثنين من السواح فى البرية، قال لتلاميذه :

"أنا لست راهباً ، لكننى رأيت رهباناً !

الكتاب : الآباء السواح .

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس بالقاهرة .

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - العباسية .

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٦/١٠٥٦٨



مقدمة

السائح يمثل حياة إنسان مات كلية عن العالم، لكى يحيا فى الله، والله فيه . ترك كل متع الحياة الدنيا ليصير الله هو متعته الوحيدة.

من ذا الذى يستطيع أن يكتب سيرة سائح، أو يتعرف على يوم واحد من حياته . إننا نطوف فقط حول الإطار الخارجى لحياته : كيف بدأ السياحة؟ ومن رآه وكتب عنه . أما روحياته وعشرته بالله، فهى قدس أقداس . ناجيته مرة وأنا فى مغارتى فى الجبل سنة ١٩٦٠ فقلت :

كل ما حولك صمت وسكونْ — وهدوء يكشف السر المصونْ
اعتزلت الناس حتى ما ترى — غير وجه الله ذى القلب الحنون
وتركت الكون بل أنسيته — لم يعاودك إلى الكون الحنين
هل ترى العالم إلا تافهاً — يشتهى المتعة فيه التافهون
كل ما فيه خيال يمّحى — كل ما فيه سيفنى بعد حين
يا شبيه الله تدنيه لنا — أنت حسنٌ تتشهاه العيون
أنت رمز كلما نبصره — نزدرى الآمال والكون يهون
أنت رمز لحياة طهرت — اشتهى الخالق يوماً أن تكون

أنت لحن الروح يسرى هادئاً يسكب النشوة فى القلب الأمين
أنـــت قلـــب هـــائم فى حبـه أنت سر ليت شعرى من تكون
أنت ســـر لســـت أدرى كنهه أى شئ فيه لى غير الظنـــون
أنت روح ســـابـــح فى عمقه يجتلى الأعماق فى صمت رصين
إن فى صمتك سرا لن يرى قدس أقـــداسه إلا الصـــامتون

ومن ذلك الحين قرأت المخطوطات التى تحوى سير السواح.

وهى من مكتبة ديـر السـريان العـامر تحـت أرقـام ٣٩١ميـامر، ٣٩٦ ميامر، ٣٩٩ميامر، ٣٨٠ ميامر، وكتاب الأربعين خبراً تحت رقم ٣٨٣ ميامر. كما قرأت ما كتبه القديـس جيروم، وبعـض آبـاء آخرين، وكتاب السنكسار، وكتباً أخرى .

ولم أشأ أن أسرد السير واحدة واحـدة كمـا هـى. إنمـا أردت أن استخرج منها بعض معلومات تعطى صورة عامة عن السواح .

وإذ أقدّم هـذا الكتـاب للقـارئ العزيـز، إنمـا أضـع أمامـه فكـرة مبسـطة عـن حيـاة أشـخاص عاشـوا كالملائكـة. والكنيسـة المقدسـة تكرمهم كثيراً. وقد بنيت كنائس عديدة على أسماء البعض منهم.

غـالبيتهم بـدأوا حيـاتهم كرهبـان. والبعـض ذهبـوا إلـى السـياحة مباشرة، كالقديس الأنبا بولا، والقديسة مريم القبطية.

والآن أترك هذه الصفحات تحدثك عن شئ من قصصهم .

البابا شنوده الثالث

مَن هُمُ السُوّاح ؟

يظن البعض أن الآباء السواح هم أرواح تطير من مكان إلى آخر!! إذ يدخلون الكنائس وهى مغلقة، ليصلوا فيها دون أن يراهم أحد!! والحقيقة غير ذلك .

فمن هم السواح إذن ؟!

★هم بشر مثلنا يأكلون ويشربون، وقد يمرضون ويشعرون بألم وأوجاع الجسد .

★لكنهم نساك على درجة عميقة فى الصوم .

★عاشوا فى البرية الجوانية، بعيداً جداً، فى أماكن لا يعرفها أحد .. ومرت على البعض منهم عشرات السنوات، لا يرى فيها وجه إنسان .

★بعضهم كان تائهاً فى البرارى، لا يعرف أين هو .

★فى آخر حياة السواح الذين نعرفهم ، أرسل الله لكل واحد منهم من يلتقى به، ويعرف منه سيرته، ويكتبها ويقدمها إلى

مِن عظمة السُوّاح

لما عاد القديس مقاريوس الكبير إلى ديره ، بعد رؤيته إثنين من السواح فى البرية، قال لتلاميذه :

"أنا لست راهباً ، لكننى رأيت رهباناً !

الكتاب : الآباء السواح .

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس بالقاهرة .

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - العباسية .

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٦/١٠٥٦٨

الكنيسة. وغالبا كان ذلك اللقاء فى آخر حياة السائح الناسك، حيث يكفنه ويدفنه القديس الذى سمح له الله أن يلتقى به .

✠ ✠ ✠

هم بشر لهم أجساد تأكل وتشرب، وقد تمرض .

نسمع عن الأنبا بولا أول السواح أنه كان يأكل كل يوم نصف خبزة يحضرها له الغراب . ونسمع عن القديس أبا نفر السائح أنه كانت له نخلة تطرح له بلحاً يأكل منه. ونسمع عن الأنبا بيجيمى السائح والأنبا موسى السائح أنهما كانا يأكلان من أعشاب الجبل. كما كان كل هؤلاء يشربون من ينابيع أو آبار فى الجبال .

إذن لابد أن السواح لهم أجساد مثلنا تأكل وتشرب، وبالتالى تجوع وتعطش .

ونسمع أيضاً عن الأنبا تيموثاوس السائح أنه مرض مرضاً من قرحة أصابته فى كبده، شفاه منها ملاك الله. وفى نهاية حياة آبا نفر نقرأ أنه أصابته حمى واحمرّ جسمه .

لا صحة إذن لأن يُقال إن السواح مجرد أرواح .

أشهر السوّاح

السواح كثيرون ، نذكر من بينهم سواحاً ذكروا فى السنكسار:

١ - الأنبا بولا السائح .. وتعيد له الكنيسة فى ٢ أمشير .

٢ - آبا نفر السائح .. وتعيد له الكنيسة فى ١٦ بؤونة .

٣ - أنبا كاراس السائح .. وتعيد له الكنيسة فى ٨ أبيب .

٤ - أنبا بيجيمى السائح .. وتعيد له الكنيسة فى ١١ كيهك .

٥ - أنبا ميصائيل السائح .. وتعيد له الكنيسة فى ١٣ كيهك .

٦ - أنبا هرمينا السائح .. وتعيد له الكنيسة فى ٢كيهك .

٧- أنبا هدرا السائح الأسوانى.. وتعيد له الكنيسة فى ١٢كيهك.

٨ - أنبا أولاغى السائح .. وتعيد له الكنيسة فى ١٠ أبيب .

٩ - أنبا إيليا السائح .. وتعيد له الكنيسة فى ١٧ كيهك .

١٠ - أنبا تيموثاوس السائح .. وتعيد له الكنيسة فى ٢٣ كيهك.

١١ - أنبا بسنتاؤس السائح.. وتعيد له الكنيسة فى ٧ مسرى .

١٢ - أنبا لاتصون السائح .. وتعيد له الكنيسة فى ١٦ بؤونة .

١٣- القديسة مريم القبطية السائحة .. وتعيد لها الكنيسة فى ٦ برمودة .

★وهناك سواح آخرون منهم :

أنبا غاليون السائح — أنبا بالامون السائح .

أنبا يوساب السائح — أنبا حزقيال السائح .

أنبا قرياقص السائح — أنبا سيلاس السائح .

القديسة أناسيموس الملكة السائحة .

سائحان رآهما القديس مقاريوس الكبير .

أربعة سواح رآهم القديس أبامقار الكاتب .

سواح رآهم القديس الأنبا بقطر الكاتب .

سواح رآهم أنبا ببنوده فى رحلته للقاء أبا نفر السائح .

سواح آخرون لا نعرفهم ، وسواح ليست لهم أسماء مشهورة.

★البعض من كاتبى سير السواح أطلق عليهم لقب سواح مثل:

أنبا ببنوده السائح الذى التقى بأنبا نوفرَ السائح .

أنبا زوسيما السائح الذى التقى بالقديسة مريم القبطية السائحة.

الـرحْـلة إليهـم

سنختار بعض الرحلات لنكشف عن :

١ - بُعد المسافة التى قطعها الآباء القديسون فى الوصـول إلـى السواح ، مما يدل على سكناهم فى البرية الجوانية .

٢ - التدبير الإلهى فى اللقاء مع القديس السائح .

٣ - الكشف الإلهى الذى تمتع به السائح فى معرفة القديس الذى أرسله الله لزيارته .

★وسنبدأ بلقاء القديس الأنبا ببنوده بأبا نفر السائح .

★ثم لقاء القديس الأنبا بموا بالأنبا كاراس السائح .

قال القديس الأنبا ببنوده :

فى رحلته للقاء القديس أبا نفر السائح :

إننى فكرت فى نفسى أن أدخل إلى البرية الجوانية، لأنظر الأخوة الرهبان السواح عبيد المسيح إلهنا له المجد .

فمشيت فيها أربعة أيام بلياليها، لم آكل ولم أشرب ماء، فلم أر فيها أحداً .

وكنت قد أخذت معى يسيراً من الخبز والماء مقدار ما يكفينى أياماً، فمشيت أربعة أيام أخر، فلم أر أحداً. وفرغ الخبز والماء الذى كان معى، فتضيقت نفسى وأيقنت الموت. ثم شجعت نفسى وقويتها، ومشيت أياماً أخرى لم آكل خلالها ولم أشرب . فاشتد بى تعب المشى والجوع والعطش الشديد . وسقطت قوّتى، وكادت روحى تخرج من جسدى. وبقيت ملقى على الأرض مثل الهالك ، لا استطيع الحركة .

ثم أننى بعد ذلك رأيت شخصاً، دنا منى ولمس شفتى، فعادت إلىّ قوتى، وعاشت روحى، وزال عنى التعب والجوع والعطش. فلما رأيت هذه الأعجوبة العظيمة التى أنعم الله علىّ بها، نهضت للوقت، وقصدت داخل البرية. فمشيت أربعة أيام أخرى، فتعبت أيضاً وضعفت قوتى، فرفعت يدىّ وصليت إلى الرب. فرأيت ذلك الشخص الذى كنت قد رأيته أولاً. فدنا منى ولمس شفتىّ وجسمى كله، وقوانى أكثر من المرة الأولى. فقويت ونهضت قائماً، ومشيت سبعة عشر يوماً أخرى فى تلك البرية .

فرأيت من بعيد إنساناً مخوفاً بشع المنظر جداً، وهو عريان، ولا لباس عليه، وشعره قد كسا جسمه كالثوب، وهو مؤتزر بعشب البرية . فلما دنا منى خفت منه . وطلعت إلى قرنة جبل عال، لأننى ظننت أنه من سباع الجبل. فألقى بنفسه تحت الجبل الذى لجأت أنا إليه، ثم رفع وجهه وقال لى "انزل يا أخى القديس ببنوده، ولا تخف فأنا إنسان مثلك متوحد فى هذه البرية من أجل الله".

فتعجبت من معرفته لإسمى، وعلمت أنه ممتلئ من الروح القدس الذى أطلعه على إسمى. فنزلت إليه، وسقطت بوجهى بين يديه، وخررت له ساجداً على الأرض. فقال لى "قم يا ولدى، لأنى عبد لله مثلك" . فقمت وجلست بين يديه .

وسألته عن إسمه وحاله . فقال لى : "إسمى نفر. ولى اليوم فى هذه البرية ستون سنة منفرداً فى هذا الجبل لأجل الله ليلاً ونهاراً كالوحش ومع الوحوش ، وآكل من عشب البرية ومن التمر. ولم أنظر منذ صرت إلى ههنا وجه إنسان إلا وجهك اليوم" .

✠ ✠ ✠

قال القديس الأنبا بموا :

عن رحلته للقاء الأنبا كاراس السائح :

"خرجت من كنيستى ومشيت داخل البرية فرحاً ومبتهجاً وكنت أرتل وحدى ولا أدرى أين أمضى. ومشيت اليوم الأول والثانى، وفى اليوم الثالث وصلت إلى مغارة، وبابها مسدود بحجر. وإننى قرعت الباب وقلت "بارك على يا أبى القديس" وللوقت جاوبنى إنسان قائلاً لى "حسناً قدومك إلىّ اليوم يا محب الله أنبا بموا، الذى استحق أن يكفن جسد القديسة إيلارية ابنة الملك زينون.. ادخل، سلام الرب يكون معك" .. وإننى دخلت. فقام، وقبّل كل منا الآخر، وجلسنا نتحدث بعظائم الله" .

وإننى قلت له "يا أبى أترى فى هذا الجبل قديس آخر يشبهك". فتنهد ثم أجابنى "فى البرية الداخلية قديس، الحق أقول لك إن العالم كله لا يستحق وطأة أقدامه" فقلت له وما هو إسمه؟ فقال "أنبا كاراس" .

فقلت له "يا أبى القديس ما إسمك وكم لك من السنين منذ أن أتيت إلى هذا المكان وسكنت هذه المغارة، وبماذا تعيش؟ فقال "إسمى سمعان القلاع. ولى اليوم فى هذه البرية ستون سنة، وأقتات فى كل سبت بخبزة واحدة أجدها ملقاة على الحجر الذى هو خارج هذه المغارة، فتكفينى من السبت إلى السبت" وإننى تباركت منه .

ومشيت فى البرية ثلاثة أيام أخرى، فوصلت إلى مغارة، قرعت بابها وقلت بارك علىّ يا أبى القديس. فجاءنى صوت مملوء بهجة قائلاً "حسناً قدومك إلىّ اليوم يا قديس الله أنبا بموا. ادخل سلام الله يكون معك" . وإننى عبرت إليه، وقبلنا بعضنا بعضاً. وتباركت منه وجلسنا نتحدث بعظائم الله. ثم إننى قلت له يا أبى القديس أترى فى هذه البرية قديس آخر نظيرك" فتنهد وقرع صدره، وقال "الويل لى يا أبى .. داخل منى قديس، العالم بأسره لا يستحق منه وطأة قدم، وبصلواته يبطل الغضب الذى يأتى على العالم من إله السماء" .

وإننى قلت له لعلك أبا كاراس. فقال لى ومن هو أنا الترابى حتى أكون أبا كاراس الذى هو صديق لملائكة الله؟ فقلت له، وما هو إسمك، وكم لك من السنين منذ سكنت هذه البرية. وكيف تعيش فى هذا الموضع؟ فقال "إسمى بامون، ولى فى هذا الموضع تسعة وستون سنة، وحياتى وقوت جسدى من نخلة تطرح وآكل منها" .

وإننى تباركت منه وقلت صلِ علىّ يا ابى القديس. فقال لى "إلـه المجد يسهل خطواتك ويرسل ملاكه ليحفظـك فـى جميـع طرقـك" . فخرجت من المغارة وسمعت صوتاً عظيماً، فأغلقت عينى ولم أعلم مـاذا يكـون. وبعـد سـاعة فتحـت عينــى، فوجـدت ذاتـى علـى بــاب مغارة، قرعته وقلت، بارك علىّ يا أبى القديس، وللوقت تكلم معـى قائلاً "حسناً قدومك إلىّ اليوم يا رجل الله أنبا بموا، يـا مـن اسـتحق أن يكفن جسد القديسة إيلارية ابنة الملك زينون البــار. ادخـل سـلام الله يكون معك" .

وإننى دخلت وسلمت عليه وأخذت منه البركة ونظرت إليه فـإذ هو إنسان حلو العينين، وشعر رأسه ولحيتـه أبيض كمثـل الثلـج، ونعمة الله حالة على وجهه. فلما جلست معه وتحدثنا عن عظائم الله رأيته وقد رفع عينه نحو السماء وشهق متنهداً، وقال "لقد هوى نجم الآن، كوكب عظيم ترك عالمنــا، **هـو الأنبـا شـنوده الأرشـيمندريت** رئيس المتوحدين بصعيد مصر" .. **وكان ذلك فى اليوم السابع مـن شهر أبيب..** فجعلت الإسم والتاريخ والوقت فى ذهنـى .. وصـرت **متعجباً ...**

ثم سألته عن إسمه فقال إسمى أنا الحقير كاراس. فقلت له كم لك فى هذه البرية؟ **فقال لى سبعة وخمسون سنة، وقطعت هـذه الأيـام كلها وأنا منتظر هذا اليوم،** فقد حضرت لى وأحضرت موتى معك.

كيف خرجوا للسيَاحة ؟

الأنبا بُولا

قصة دخول الأنبا بولا إلى السياحة :

هو أول السواح. لم تكن فى أيامه أديرة ولا رهبان. قيل إن أخاه أو أحد أقاربه ظلمه فى الميراث، فذهب ليقاضيه. وفى الطريق، نظر ميتاً محمولاً على نعش ... وتأثر مما سمعه من المشيعين. فزهد المال والميراث والعالم كله . وسار على قدميه حتى وجد مقبرة فى غرب المدينة، وأقام هناك ثلاثة أيام مصلياً ليرشده الله .

وأرسل الله له ملاكاً حمله إلى مكان وحدته، حيث كانت هناك عين ماء حلو. وكان غراب يعوله بنصف خبزة يأكلها كل يوم .

أبَا نُفر

أما عن القديس أبا نفر السائح فقد قال :

أول أمرى أننى كنت مع جماعة من الرهبان فى دير بريده .

وكنا كلنا قلباً واحداً. وكان عددنا مائة وأربعة راهباً، نأكل فى موضع واحد مرة واحدة فى كل يوم، وسلام الرب بيننا ومعنا، ونحن ممجدون لله ربنا. وكنت أنا شاباً أتعلم خدمة الله وعبادته من قوم قديسين مثل ملائكة الله قد استمروا فى عبادتهم .

ثم إننى سمعتهم ذات يوم يمدحون السواح السكان فى البرارى

ويقولون إنهم يخاطبون الله فماً لفم مثل إيليا ويوحنا المعمدان الذى قال الرب يسوع عنه إنه لم تلد النساء أفضل منه (مت١١: ١١)، وأنه أقام فى البرية ثلاثين سنة إلى أن ظهر لإسرائيل (لو١: ٨) .

فتعجبت أنا من ذلك وقلت لهم: يا آبائى القديسين، هل يوجد فى البرية من يكون أفضل منكم عند الله، على الرغم من هذا التعب، وهذا الحرص العظيم، وهذا العمل الروحى الذى تعملونه؟!

فأجابنى أحدهم: "نعم يا ولدى، هناك قوم منتخبون أبرار عند الله أكثر منا بكثير. لأننا نحن ههنا مجتمعون نؤنس بعضنا بعضاً. ونتحدث كل يوم بعظائم الله، ونصلى بفرح. وإذا جعنا نأكل ما قد أعد لنا بسرعة، وإذا عطشنا وجدنا الماء نشربه للوقت. وإذا ضعفنا أو مرضنا، وجدنا من يخدمنا ومن يزورنا ويعزى خاطرنا. وإذا ورد على قلوبنا فكر ردئ، وجدنا من يسلينا بكلام الله. وإذا اشتهينا

شهوة من طعام هذه الدنيا، وطلبناه من القوم الأخيار المحبين للرهبان يعطونه لنا فنأكله ...

"أما السواح الذين فى البرية، فإنهم عديمو هذا كله: إذا ضجروا، فإنهم لا يجدون ما يسليهم، ولا من يكلمهم بكلام الله. وإذا جاعوا لا يجدون ما يأكلونه، وإذا عطشوا لا يجدون ما يشربونه. وإذا مرضوا، لا يجدون من يخدمهم، ولا من يعالجهم، ولا من يخاطبهم بالجملة. وأول ما يدخلون إلى السياحة يقعون فى تعب شديد بسبب الجوع والعطش وقتال الشياطين وتجربتهم لهم. لأن الشيطان عالم بعظم الكرامة التى ينالونها من الرب بصبرهم وعظم جهادهم وعملهم، وما يصيرون إليه عند خروجهم من هذا العالم .

"وبقدر صبرهم تأتيهم رحمة الله الذى يأمر ملائكته فتخدمهم... وكما هو مكتوب فى سفر أشعياء النبى إن الذين يتعبدون للرب الإله "يجددون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يعيون" (اش٤٠: ٣١). إذا عطشوا أخرج لهم الماء من الصخر. ويجعل الحشائش التى تنبت فى الجبال حلوة فى أفواههم مثل شهد العسل. وإذا نالتهم بلية أو جربوا من العدو المجرب، وبسطوا أيديهم وصلوا إلى الرب تأتيهم رحمته سريعاً، ويبدد عنهم جميع الحروب التى تقوم عليهم لاستقامة قلوبهم. وكما كتب فى

مزامير داود "ملاك الرب يحوط بخائفيه وينجيهم" (مز ٣٤: ٧) . "ومن جميع أحزانهم يخلصهم" وأيضاً أن "الرب لا يترك الفقير إلى الأبد" وأيضاً "المسكين صرخ إلى الرب فاستجاب له ، ومن جميع أحزانه خلصه". إنه يجازى كل واحد بحسب ما يحتمله من العذاب لأجل إسمه القدوس. ومغبوط هو الرجل الذى يعمل إرادة الرب على الأرض، فإن الرب يجعل ملائكته القديسين يخدمونه، مادام هو فى الدنيا متعبداً له كل حين ..." .

فلما سمعت أنا يا أخى ببنوده هذا الكلام من الآباء القديسين المحبين لله، كان كلامهم فى قلبى مثل العسل.

وألقيت عن نفسى جميع الأفكار لأجل كلامهم، حتى إننى ظننت أن نفسى وجسدى قد انتقلا إلى جبل آخر. فقمت ليلاً وأخذت معى يسيراً من الخبز مقدار ما يكفينى ثلاثة أيام أو أربعة بقدر ما يوصلنى الرب إلى الموضع الذى يختاره لى .

فلما خرجت من عند الأخوة ليلاً وصرت مقابل الجبل، رأيت إنساناً منيراً قائماً قدامى وهو مضئ جداً. فخفت منه وهممت بالرجوع إلى حيث كنت لأقيم فى مكانى كما كنت أولاً. فدنا منى ذلك الإنسان المنير وقال لى : لا تخف، أنا ملاك الرب المصاحب لك منذ صباك. رحمة الله تأتيك، وأنا معك إلى أن تتم إرادتك فيه .

فمشيت ومشى الملاك معى فى البرية مقدار ستة أو سبعة أميال . فرأيت مغارة صغيرة ، فملت إليها لأنظر إن كان فيها أحد. فلما دنوت منها قرعت بابها وقلت كقانون الأخوة الرهبان "بارك علىّ يا أبى، بارك علىّ". فخرج إلىّ قديس عظيم حسن الصورة بوجه باش. فلما رأيته خررت على الأرض عند قدميه. فأقامنى وقال لى "أنت آبا نفر، خليلى فى العمل. الرب الإله يباركك ويكون معك، لتتمم الأمر الذى عولت عليه وأنت مندوب له. ادخل يا خليلى، السلام لك". فدخلت وجلست عنده أياماً قلائل أتعلم منه طريق الله. وعرفنى العمل فى البرية وقتال الشياطين وأفعالهم المخيفة .

ولما رآنى قد أضاء عقلى يسيراً، وعرف قيامى ومقاتلة الحروب الخفية والظاهرة، قال لى "آن لك يا ولدى أن تقاتل وتجاهد حسناً. قم لأمضىَ بك إلى البرية الداخلة منى، لتقيم فيها وتسيح وحدك، وتتعب للرب الذى دعاك إلى هذه البرية وهذه السياحة .

فقام ومشى معى إلى داخل البرية اربعة أيام حتى وصلنا إلى حصن ونخلة مزروعة عنده. فقال لى الشيخ القديس، "هذا هو الموضع الذى دبر الله لك أن تخدمه فيه" . وأقام فيه عندى شهراً من الزمان، إلى أن هدانى إلى العمل الجيد الذى ينبغى أن أعمله. ثم سلمنا على بعضنا البعض، وودعته ومضى عنى. وكنت أجتمع

به بعد ذلك دفعة واحدة فى السنة، إلى أن تنيح فدفنته فى المكان الذى كان يعبد الله فيه. وعدت إلى هذا الموضع أمجد الله بسبب ذلك الشيخ القديس .

الأنبا بيجيمى

وفى قصة الأنبا بيجيمى السائح :

إنه ذهب إلى دير يعيش فيه - وهو فى العاشرة من عمره - فقالوا له "أمضِ وقل لأبهاتك" فقال لهم "أنتم أبهاتى" . فقضى بينهم سبع سنوات يعلمونه نواميس الرهبان. ولما رأوه يسير فى خوف الله وفى الإتضاع والصبر والحكمة والوداعة، ألبسوه ثياب الرهبنة. وقضى بينهم ٢٤ سنة، لم يرفع نظره إلى فوق ليبصر وجه واحد منهم .

ولما تنيح أولئك الشيوخ، قضى أنبا بيجيمى سنتين، وكان يأتيه كثيرون يتباركون منه ممن سمعوا فضائله . فبكت نفسه قائلاً :

"ماذا أفعل، إذا افتقدنى الرب وأنا وسط هذه الجموع، ولست استحق واحداً منهم؟! حينئذ قام وصعد إلى الجبل فى شيهيت .

أقام ثلاثة أيام وثلاث ليال، وهو يمشى فى البرية ولا يعلم إلى أين هو ماضٍ. ولم يأكل ولم يشرب فى تلك الأيام الثلاثة، ولا حمل معه خبزاً ولا ماء ولا شيئاً البتة سوى جريدة (عصا) صغيرة. ثم

ظهر له شياطين يخيفونه ، فأعانه الله عليهم ...

وبعد يومين آخرين وهو يمشى فى الجبل، وصل إلى وادٍ فيه نخيل وماء ووحوش برية، ففرح به وأقام فيه .. وكان يأكل بنسك شديد مرة كل أسبوع ، ملء قبضته من التمر، ويشرب من ماء الوادى. ثم بدأ يشرب من الندى . ودخل فى أصوام أصعب .

الأنبا هدرا

وفى سيرة القديس أنبا هدرا السائح الأسوانى :

يروى أن أهله زوجوه - على غير إرادته - وهو فى الثامنة عشرة من عمره. وفى ليلة الزواج تظاهر بالمرض. وفى الصباح الباكر ذهب إلى الكنيسة طالباً إرشاد الله. ولما خرج منها أبصر رجلاً ميتاً يحمله أهله فقال لنفسه "ليس هذا الإنسان هو الذى مات، بل أنا الذى متّ عن هذا العالم الزائل" .

وذهب إلى دير وأقام فيه . وحاول أهله إرجاعه فلم يرجع. ودفع نفسه إلى عبادات عظيمة ونسك شديد. فلما رأى آباء الدير نشاطه، ألبسوه الشكل الملائكى. وكان تحت إرشاد أنبا بيمن .

وبعد ثمانى سنوات طلب السكنى فى البرية، فصحبه الأنبا بيمن، ووجدا مغارة فسكن فيها. وزاد فى فضائله ونسكه. فزاره أحد المتوحدين، ولما رأى تعبه نصحه أن يترفق على نفسه، فأجاب

باتضاع "إن كل ما أفعله، لا يقوم مقام خطية واحدة من خطاياى" فاتعظ المتوحد من إجابته، وأخبر متوحدين آخرين، فجاءوا لسماع تعليمه...

ولما رأى أن شهرته قد ذاعت، وقد جاء كثيرون إليه، قرر أن يهرب إلى مكان لا يعرفه فيه أحد، ووافقه مرشده .

وكان الموضع الذى اختاره له الرب على مسيرة ثلاثة أيام، لا يأوى إليه إلا الوحوش الكاسرة والحشرات والهوام ودبيب الأرض.

وحاولت الشياطين إزعاجه بمناظر مخيفة. فكان ينتصر عليهم بعلامة الصليب .

وفى إحدى المرات عاد إلى مغارته، فوجد فيها تنيناً عظيماً. فصلى قائلاً: إن كانت هذه هى إرادتك يارب أن يسكن معى هذا الوحش الردئ، فمسرتك كائنة إلى الأبد.. فخلصه الرب منه .

الأنبا غاليون

أما قصة الأنبا غاليون السائح، فتختلف عن كل ما سبق :

دخل إلى دير فى جبل القلمون. وبقى فيه حتى صار شيخاً، ولم يخرج من باب الحصن إلى خارج، ولم يختلط بأحد من رهبان الدير إلا فى وقت الصلوات. ولم يكن فى الدير من يحفظ الألحان مثله..

فنصب له الشيطان فخاً. وأتى إليه ليلاً، وهو خارج من قلايته

يريد البيعة نصلاة نصف الليل .

وقال له : "إننا إثنا عشر رجلاً نسيح فى هذه البرية. ولما كان اليوم، مات أحدنا ونحن لا نقدر على أن ينقص عددنا. وقد اخترناك لتكون كمال العدد، لأنك ناسك عابد محب للأخوة، زاهد فى الدنيا ولست راغباً فيها، ولا فى متاعها ولا طعامها. فأنت مستحق أن تكون معنا" .. وتوارى عنه .

ولما فرغت الصلاة ، خرج من الدير دون أن يشعر به أحد، ولم يأخذ معه إلا عصا يتوكأ عليها .

فوجد أحد عشر رجلاً من جند الشيطان فى زىّ رهبان ...

فمضوا أمامه بعد الإبتهاج به والسلام عليه، وهو يتبعهم إلى أن أنتصف النهار . وإذا هم على جبل عالٍ مشرف على أرض الواحات، مقفر ليس فيه طعام ولا شراب ماء ولا أحد البتة. وجلسوا يضحكون ويهزأون ببعضهم البعض، ويفرحون ويقولون : لقد اصطدنا فى هذه الليلة صيداً حسناً" ...

قال الأنبا غاليون : فتفكرت فى أمرى. وقلت إن هؤلاء القوم شياطين وليسوا قديسين. وإنى رشمت على وجهى بعلامة الصليب المقدس، والتفت فلم أجد أحداً منهم. وبقيت فى الجبل لا أعرف أين أذهب، ولا كيف تكون النجاة .. ففتحت فاى وأبتدأت أقرأ المزامير:

والتفت خلفى وإذا أنا سامع صوتاً. فتعجبت، وإذ بثلاثة نفراً يقرأون المزمور ٩٧ "سبحوا الرب تسبيحاً جديداً.." وكانت أصواتهم كأصوات الملائكة. وكنت أعرف اللحن الذى يقولونه فقلت معهم. وكنت حذراً من الشيطان أن يكون قد أرسل أيضاً جنده ليهلكونى. ولكنى قلت : لا يمكن للشيطان أن يصلى مزامير داود .

وبينما أنا كذلك، وإذا القوم قد قربوا منى، وهم يقرأون بألحان حسنة، فجاوبتهم بمثل ألحانهم. ولم نزل تلك الليلة جميعها نقرأ من مزامير داود إلى الصباح .. ولا هم سألونى عن أمرى، ولا أنا سالتهم عن أمورهم .

ثم جلسنا جميعاً فسألتهم، وإذا هم رهبان من دير القديس الأنبا شنوده، وهم يسيحون فى الجبل. وقالوا لى ما نريد أن تعرفنا بما أصابك. فقد عرفنا بالروح مناصب العدو وفخاخه وحيله .. فاشكر الله ونشكره جميعاً . قال الأنبا غاليون . فأقمت معهم سنة كاملة. وقد وجدنا تحت هذا الجبل عين ماء ...

الأنبا ميصائيل

أما عن الأنبا ميصائيل السائح :

فقد كان من أسرة غنية جداً ، وقد أنجبه والداه فى شيخوختهما بعد توبتهما، وربياه تربية حسنة. وزهد فى الدنيا وفى الغنى . وأتى

إلى الدير فـى جبـل القلمـون . وسـار فـى جديـة عميقـة فـى النسـك والطهر والصلاة، حتـى صـار جسـده مثـل الحطـب اليـابس، ويـداه ورجلاه مثل جريد النخل. فبكى عليـه الأنبـا اسـحق . ولكنـه عـزاه بكلام روحانى ، وقال لـه : لا تبكِ. وأنبأه بنبـوءة رآهـا فـى المنـام، أن قوماً سيأتون ويأخذونـه .

وتحقق ذلك . وكان الذين أخذوه من الجنود الروحانيين .

فعاش معهم . وفى العام التالى ، أتى معهم وأنقذ الدير مـن والٍ ظالم يريد اغتصاب ما فى الدير من قوت الرهبان .

وطلب من الأنبا اسحق أن يمضى إلى أسقف بلدته، ويأخذ للدير ما فى عهدة الأسقف من مالـه، وأن يبنـى لـه علـى إسـمه بيعـة فـى الدير . وحدث ذلك وبنى الأنبـا اسـحق كنيسـة للأنبـا ميـصـائيل فـى موضـع مسكنه. وحضر تدشينها هو ومن معه من القوم الروحانيين. وكان ذلك فى العاشر من شهر بشنس .



كلا هؤلاء اختلفت طريقة دخوله إلى السياحة .

فمنهم من حمله ملاك إليها كالأنبا بولا، ومن أحب سيرة السواح فخرج إليها، كآبا نفر. ومن كمل فـى حيـاة الرهبنـة فدخل للسـياحة كالأنبا بيجيمى. ومن خدعه الشياطين فألقته فـى الجبـل، ولكـن اللـه أرسل له من يرشده ، كالأنبا غاليون ...

كَتَبَة سِيرة السُوّاح

السواح كان الله يسمح بأن يرسل لكل منهم فى نهاية حياته من يعرف منه سيرته ويكتبها ويدفنه، ويقدم هذه السيرة إلى الكنيسة .

فالأنبا بولا السائح، أرسل له الله القديس الأنبا أنطونيوس ، فعرف منه سيرته وكتبها ودفنه . والأنبا كاراس السائح، أرسل له الله القديس الأنبا بموا ، فعرف منه سيرته وكتبها. والأنبا مرقس الترمقى، أرسل له الله القديس الأنبا سرابيون، فعرف منه سيرته وكتبها. وآبا نفر السائح أرسل له الله القديس الأنبا ببنوده، فعرف منه سيرته وكتبها ودفنه. وكذلك الأنبا موسى السائح، أرسل له الله القديس الأنبا صموئيل ، فعرف منه سيرته وكتبها ...

وهناك أشخاص مشهورون من كتبة سيرة السوّاح :

منهم أنبا بقطر الكاتب ، وآبا مقار الكاتب الذى صار فيما بعد أسقفاً، وأنبا اسحق رئيس دير الأنبا صموئيل بالقلمون، وكتاب آخرون قد جمعت السير التى كتبوها فى مخطوطة مشهورة بالأديرة تعرف باسم (الأربعين خبراً) . والمعروف أن القديس جيروم كتب سيرة القديس الأنبا بولا السائح .

الملابس والعُـرى :

٢ - هل كان السواح يرتدون ملابس؟ علماً بأن ملابسهم لابد أن تكون قد بليت خلال عشرات السنوات فى سياحتهم ...

نقرأ فى حياة القديس مكاريوس الكبير أنه رأى سائحين عاريين فى البرية الجوانية، فى الغرب ناحية ليبيا. ولكن هذا وضع شاذ.

فالقديس الأنبا بولا أول السواح، قد صنع لنفسه ثوباً من ليف النخل أو من سعفه. والقديس آبا نفر السائح، كان شعره طويلاً عوضاً عن الثوب يغطى عريه .

والقديس الأنبا بيجيمى السائح حورب بأن يعيش عارياً كناحية من التجرد، ولكنه رد على نفسه بحكمة، وقال لها :

كيف أجلس عرياناً؟ وكيف أقدر أن أصلى لله وأنا عريان؟!

وتذكر أن الله صنع لآدم وحواء أقمصة من جلد وغطى عريهما (تك٣: ٢٠). وأن الملائكة الذين بشروا بالقيامة كانوا يلبسون ثياباً بيضاً (مت٢٨: ٣). (مر١٦: ٥) (لو٢٤: ٤) (يو٢٠: ١٢). وأن يوحنا المعمدان الذى عاش فى البرارى كان "يلبس وبر الإبل، ومنطقة من جلد على حقويه" (مر١: ٦) والسارافيم كانوا بجناحين يغطون أرجلهم (اش٦: ٢) . فغطى أنبا بيجيمى جسده بورق الأشجار .

وهكذا نرى أن السواح إما أن الله يحفظ لهم ثيابهم من البلى، أو

الشعر يغطى أجسامهم، أو يصنعون ثياباً من ليف أو سعف، أو ربما من جلود الحيوانات التى تموت فى البرية، أو يبقى البعض منهم عارياً، إذ لا يراه أحد .

نسمع عن القديسة مريم السائحة إنها اختفت وراء صخرة، عندما وصل أنبا زوسيما إلى البرية، ولما اقترب لأخذ بركتها، طلبت إليه أن يلقى ثوبه إليها، وائتزرت به ...

هل العدد محدود؟

٣- هل عدد السواح محدود؟ وكلما توفى واحد منهم؟ اختاروا غيره ليظل العدد كما هو ؟

لا يوجد ما يبرر محدودية العدد. وربما يوجد سواح فى مكان ولا يعرفون بعضهم بعضاً. كما أن اجتماع سواح معاً، لاختيار شخص يصير سائحاً ليكمل عددهم، إنما يدل على أن هؤلاء يحيون حياة مجمع لا حياة وحدة!! ولا يتفق هذا مع السائح الذى لا يختلط بغيره، وقد تمر عليه عشرات السنوات لا يرى وجه إنسان .

وموضوع العدد المحدود، واختيار من يحل محل المتوفى ، إنما هو حيلة، لجأ إليها الشيطان فى محاربة أنبا غاليون السائح واسقاطه، بدعوته إلى السياحة لأن عدد السواح ينقصه ...

ولم ترد مثل هذه الفكرة على لسان القديسين .

٤- هل يوجد سُوّاح حاليًا :

من بين الرهبان ، لا يوجد . لأن كل رهبان الأديرة معروفون لنا بأسمائهم، وبموضع ومصير كل واحد منهم .

فإن كان الله قد سمح في أيامنا أن يوجد أحد السوّاح ، فلا يكون ذلك من بين الرهبان. إنما يكون شخص قد دخل البرية الجوانية، وعاش ناسكاً فيها، دون أن يمر على دير، ودون أن يبدأ كراهب.. ودون أن يراه أحد حتى الآن ...

العجيب

العجيب بعد كل هذا أن بعض السواح نزلوا للخدمة !!

★أنبا هدرا الأسواني ، عندما كبر في السن، مضى إلى بعض الأديرة وحبس نفسه في قلاية، وأعطاه الرب موهبة الشفاء، وموهبة إخراج الشياطين، وصنع عجائب كثيرة .

ولما تنيح أسقف أسوان، أتى الشعب، وفتحوا عليه الحبس، وأخذوه وسافروا إلى الأسكندرية، حيث كرزوه أسقفاً بيد البابا ثاوفيلس، البطريرك٢٣في بداية القرن الخامس.. وتنيح في١٢ كيهك.

★وأنبا غاليون السائح، طلبه أبوه الأنبا اسحق ، ليسلّم ما يحفظه من ألحان الكنيسة وترتيب البيعة لتلميذه موسى. وكانت الألحان كثيرة جداً. فأخذ موسى إليه ، وضمه إلى صدره. وقال له "يا ولدي، اقبل مني الروح الذي عليّ. فإني في اليوم السابع أتنيح" .

وقبل موسى الروح منه. وكان يزيد فى القراءة والألحان، مثلما يزيد البحر فى أيام النيل ...

★والأنبا ميصائيل السائح جاء مرة مع الجند الروحانى لإنقاذ الدير، ومرة أخرى جاءوا معه لحضور تدشين كنيسته ...

ولكن السياحة فى أصولها، هى سياحة القديس الذى عاش عشرات السنوات، لم ير وجه إنسان، إلا يوم وفاته .

مثل حياة السواح: الأنبا بولا، وآبا نفر، والأنبا كاراس، والأنبا مرقس الترمقى.. وأمثال هؤلاء من السواح القديسين الذين انطبقت عليهم .

قصيدة " سائح "

أنا فى البيداء وحدى .:. ليس لى شأن بغيرى
لىّ جحرٌ فى شقوق التل قد أخفيت جحرى
وسأمضى منه يوماً .:. ساكناً ما لست أدرى
تائهاً اجتاز فى البيداء من قفرٍ لقفرِ
ليس لى دير فكل البيد والآكام ديرى
لا ولا سورٌ فلن يرتاح فى الأسوار فكرى
أنا طيرٌ هائم فى الجو لم أشغف بوكرِ
أنا فى الدنيا طليق .:. فى إقاماتى وسيرى
أنا حرٌ حين أغفو .:. حين أمشى حين أجرى
وغريبٌ أنا أمر الناس شئ غير أمرى

في هذا الكتاب

باسم الآب والابن والروح القدس

الإله الواحد آمين

تقرأ فى هذه النبذة :

★من هم السواح ؟

★أشـهر السـواح المذكورين فى السنكسار وغيرهم .

★بعـض رحـلات القديسين الذين رأوا السواح

★كيف وصل الآبـاء السواح إلى حياة السياحة ومنهم :

الأنبـا بـولا - آبـا نفـر

الأنبا بيجيمى - الأنبا هدرا

الأنبـا غـاليون - الأنبـا ميصائيل

★كتبة سير السواح

★أسئلة حول السواح

البابا شنوده الثالث

الثمن ٢٥ قرشاً